

# دراسة لبعض مشكلات تدريس النحو العربي ومحاولات تطويره

الدكتور

محمد منير مرسى \*

تعالى الصيحات من حين لآخر بالشكوى من ضعف تعليم العربية في مدارسنا. وترتفع أصوات الاتهام مشيرة إلى المنهج المدرسي أو الكتاب أو المعلم أو الأذواج اللغوي بين العامية والفصحي أو غير ذلك من الأسباب المتصلة بالموضوع. وعلى الرغم من قيام عدة محاولات لتطوير تدريس لغتنا القومية فإن المشكلة ما زالت قائمة وربما تتجلى بصورة أخطر في ضعف أن لم يكن في عجز ابنائنا عن التحدث أو التعبير أو القراءة أو الكتابة بلغة عربية سليمة بيسر وسهولة. وأستمتع أخوانى عذرا إذا ما قلت إن هذا الضعف يمتد إلى المشتغلين بتعليم العربية والقائمين على تدريس أصولها وعلومها. وقد عبر ابن خلدون أحسن تعبير عن ذلك منذ ما يقرب من ستة قرون عندما قال: «لذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شركو ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي» وبعكس ذلك «نجد كثيرا من يحسن هذه الملكة ويجيد الفنون من المنظوم والمشور وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المفعول من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية. ثم يواصل القول «فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأئها مستغنية عنها بالحملة».

ان اللغة في نظر ابن خلدون مملكة تتأنى عن طريق كثرة حفظ كلام العرب وأشعارهم والتمرن على النسج على منوالهم حتى يصبح اللسان العربي سليقة وهو في ذلك يقول :

«ووجه التعليم لمن يتبعى هذه الملكة ويرروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أشعارهم وأشعارهم وكلمات المؤلدين أيضا في سائر فنونهم حتى ينزل

\* استاذ التربية بجامعة قطر ومدير مركز البحوث التربوية

لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمتشور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم . ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عبارتهم وتأليف كلماتهم ماواعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتها رسوخا وقوه » .

ويوضح ابن خلدون الأسباب التاريخية لوضع أصول النحو وقواعد وهو تمثل في تفشي اللحن بين العناصر غير العربية الأصل والخشية من فساد مملكة اللسان العربي ومن تحريف قراءة القرآن . وفي ذلك يقول : « وخشي أهل العلم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستتبطوا من مجرى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكلمات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشياء بالأشباه مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع : »

وهكذا نشأ علم النحو . ومن هذه النشأة التاريخية يتضح لنا أن تعلم النحو ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة لتقديم اللسان العربي . ويقارن ابن خلدون بين طريقة أهل الأندلس وطريقة أهل المغرب وأفريقية . فيمتاح الأولى لأنها أقرب إلى تحصيل مملكة اللسان العربي وفي ذلك يقول : « أهل صناعة العربية في الأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم ، فيسبق إلى المبتدأ كثير من الملكة أثناء التعليم فتقطع النفس لها وتستعد إلى تحصيلها وقبوها . »

ويتقد الطريقة الثانية وهي طريقة أهل المغرب وأفريقية فيقول :

« وأما من سواهم من أهل المغرب وأفريقية وغيرهم فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثا وقطعوا النظر عن التفقه في كلام العرب ، الا أن أعربوا شاهدا أو رجحوا مذهبا من جهة الاقتضاء الذهني لامن جهة محامل اللسان وتركيبيه وأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل ، وبعدت عن مناحي اللسان وتركيبيه وتميز أساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم ، فهو من أحسن ما ت فيه الملكة في اللسان . وتلك القوانين إنها هي وسائل للتعليم ولكنهم أجروها على غير ماقصد بها وأصاروها علما بحثا وبعدوا عن ثمرتها » .

ييد أن العصور التي تلت عصر ابن خلدون كانت عصور تدهور وانحطاط بالنسبة للعالم العربي . وكان من الطبيعي أن تتدحر اللغة والثقافة والفكر وانعكس ذلك على تعليم النحو وبدأ التكلف واضحا في تعليمه وكان من مظاهر هذا التكلف ظهور المنظومات التعليمية التي تعالج قواعد النحو مثل ألفية ابن مالك والأجرمية . وكان على الدارس أن يحفظ هذه المنظومات عن ظهر قلب أذ أصبح حفظها غاية في ذاتها . وهكذا انقلب الوضع في تدريس النحو بعد أن كان الهدف منه وظيفيا هو تقويم اللسان أصبح الهدف منه تعليميا هو حفظ القواعد النحوية وهكذا أصبح تعليم النحو غاية في ذاته وهو اتجاه أساء إلى تدريس النحو طيلة القرون التالية حتى العصر الحديث بل وما زال هذا الاتجاه مائلا حتى الآن لدى كثير من المستغلين بتعليم العربية وإن تظاهروا بغير ذلك .

وكان من الطبيعي أن تظهر في العصور الحديثة محاولات للنهوض باللغة والأدب ومنها النهوض بتعليم النحو . واتجهت هذه المحاولات إلى الماضي الزاهر ومحاكاة القدماء في لغتهم وأساليبهم ففي الأدب نجد محمود سامي البارودي يحاكي شعراء العصر العباسى من أمثال البحترى وأبى تمام وغيرهما . ونجد أيضا الشيخ حسين المرصفى يؤلف كتاب « الوسيلة الأدبية » وهو موسوعة لغوية وأدبية وكان الهدف منه تعليميا إذ أنه جمع فيه بين شتى فنون اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب .

وكان من بين المحاولات الأولى الجادة في تعليم النحو العربي محاولة حفني ناصف عندما ألف سنة ١٩٠٦ دروسا في النحو والصرف والبلاغة وجمعها في كتاب واحد صغير الحجم عظيم القدر سماه « قواعد اللغة العربية لطلاب المدارس الثانوية ». وقد قسم الكتاب حسب أنواع الكلام مراعاة للتيسير على المتعلم فقسمه إلى ثلاثة أبواب : باب للفعل وباب للاسم وباب للحرف وفي عرضة للقواعد النحوية نجد أنه يسرد القاعدة ويشرحها ويورد الشواهد الأدبية البليغة التي يحاكي فيها القدماء للتدليل عليها مبتعدا بذلك عن الشواهد النحوية المتكلفة مثل ضرب زيد عمر أو ما شبه ذلك . وميزة هذا الكتاب أنه محاولة جادة لتلخيص قواعد النحو العربي في صورة مبسطة تيسر على المتعلم تعلمها دون اغراقه بالتأويلات والتعليقات مع الاستعانة بأمثلة وشواهد من القرآن الكريم والامثال وفصيح كلام العرب . وهي ناحية هامة في تعلم اللغة سبق أن أكدتها ابن خلدون وافتقرت إليها كثير من كتب تعليم النحو في العصور الحديثة .

وكانت محاولات اصلاح النحو جزءا من حركة عامة ترمي إلى النهوض باللغة العربية . فقد كان هناك شعور بأن اللغة العربية عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر وأنها تحتاج إلى الاصلاح والتطوير .

وأختلطت النبرات والدعوات فمن منصف يدعو الى الاصلاح ومن مغرض يدعو الى العامية أسوة بما حدث في تركيا عقب ثورة مصطفى كمال أتاتورك ومن ساخط يدعو الى استخدام الحروف اللاتينية.

ان الدعوة الى العامية ترتبط بمهندس انجليزي عاش في مصر اسمه وليم ويلكوكس عندما ألقى محاضرة في يناير ١٨٩٣ في نادي الاذبكيه كان موضوعها مثيرا هو: لماذا لا توجد لدى المصريين قوة الابتكار؟ زعم فيها أن قوة الابتكار تأتي من قوة الفكر التي يرثها الفرد عن أبيه ومن قوة الخيال التي يرثها عن أمه. وقال أن أهم عائق يمنع المصريين من الابتكار انهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى ولو أنهم ألفوا وكتبوا باللغة العامية لصاروا مبتكرين. واستدل على ذلك بأن الانجليز لم يكونوا مبتكرين عندما كانوا يؤلفون باللاتينية فلما اختاروا لغة الفلاحين وكتبوا بها صاروا مبتكرين. وضرب مثالا بشكسبير وبيكون. وقد قام ويلكوكس بترجمة الانجيل الى اللغة العامية المصرية كما ألف كتابا بالعامية المصرية أيضا وكان يوزعها مجانا على الناس. وللاسف أن الدعوة الى العامية رغم مافيها من شر مستطير لا يخفى على العيان فانها وجدت آذانا صاغية تستجيب لها. وقد رد سلامه موسى في مجلة «الملال» دعوة «ويلكوكس» الى العامية وأثنى على ويلكوكس كأحد الانجليز المخلصين لمصر شغل بها كثيرا حتى أصبحت همومه مصرية أكثر منها أنجليزية. (١)

وكانت الدعوة الى العامية رد فعل الشبهات التي أثيرت حول قدرة اللغة الفصحى على الوفاء بمتطلبات العصر من ناحية وأنها لغة لاستخدام في التخاطب من ناحية أخرى كما كانت أيضا هناك دعوة أخرى مغرضة ترمي الى احلال الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية. وهي دعوى سلمت منها البلاد العربية الاسلامية وأثبتت أنها قادرة على تحدي كل محاولات التغريب والتشكيك.

وللأسف ان الدعوى الى استخدام الحروف اللاتينية قد وجدت من ابناء العربية من يناصرها فهذا عبد العزيز باشا فهمى أحد شيوخ جمع اللغة العربية يقدم الى المجمع في أوائل شهر مايو سنة ١٩٤٣ اقتراحا بتيسير الكتابة العربية عن طريق استخدام الحروف اللاتينية بدل العربية.

وكتب أنيس فريحة، استاذ اللغة العربية في الجامعة الامريكية بيروت يقول «يطالب بعض الناس بتبني الحرف اللاتينى تسهيلا للقراءة وتخفيضا لنفقات الطباعة

(١) محمد منير مرسى : التربية الاسلامية : أصولها وتطورها في البلاد العربية - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٢ ص ٢٧٦ -

ونحن من المؤمنين بهذه النظرية ولا نرى حل للكتابة الا بتبني الحرف اللاتينى وضبط الكلمات فيه مرة واحدة.

وكان دعاء استخدام الحروف اللاتينية هم دعاء استخدام العامية بدل الفصحى وفي ذلك يقول أنيس فريحة أيضا:

« ان الفصحى ليست لغة الكلام فلا يرجى منها أن تعبّر عن الحياة بحلاوتها ومرارتها وقوساتها ولينها كما تستطيع العامية والدليل ظاهر فإنك لا تستطيع أن تقول بالفصحى ما تقوله بالعامية واذا نقلته الى الفصحى أتى قاسيا جافا خلوا من العنصر الانسانى اللصيق باللغة » .

ان من الغريب أن يأتي هدم اللغة الفصحى من أناس تصدوا لخدمتها والعمل على رفعتها . ويبدوا أن هذه الدعوة أختلطت بدعوات أخرى منها تبسيط اللغة العربية من حيث قواعدها وأسلوب كتابتها دون هجرها الى غيرها ، والارتقاء باللغة العامية لتقترب من الأدبية الفصحى وقضية تعريب الكلمات الاجنبية العربية ، وتقریب الفجوة بين اللغة الفصحى والعامية وتجديد الأدب العربي .

وكان صدى هذه الدعوات المغرضة أننا نجد دعوة تزعمها فتحى زغلول تنادى بالغاء النحو .

ومع اليقظة التربوية والتعليمية ومحاولات الاصلاح التعليمي التي ظهرت في الربع الثاني من القرن العشرين نجد أن وزارة المعارف المصرية تولى اهتمامها الى اصلاح وتطوير التعليم وكان من بينها بالطبع تطوير تدريس النحو بمدارسها . وكان من اهم المحاولات تلك المحاولة التي سمتها الوزارة التبسيط الجديد للنحو والتي ألفت لها سنة ١٩٣٨ لجنة من كبار الأساتذة هم : الدكتور طه حسين وأحمد أمين وعلى الجارم ومحمد أبو بكر ابراهيم وابراهيم مصطفى وعبد المجيد الشافعى . وحدد هذا القرار الوزارى الخاص بتشكيل لجنة مهمتها في البحث في تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ووضع الأسس التي ترى اللجنة أنه ينبغي أن تقوم قواعد النحو والصرف عليها . . . وقد قدمت اللجنة رأيها في تقرير طبعته الوزارة وقد جاء في هذا التقرير : « بما أن الوزارة سبق لها أن عملت على تبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة فيها أخرجت من الكتب وكان لهذا العمل نتيجة مرضية وبما أن هذه الخطوة التي خطتها الوزارة في الماضي لم تكن كافية اذ انه لوحظ أن صعوبة قواعد النحو والصرف والبلاغة لازالت قائمة وأن المعلمين والمتعلمين يبذلون جهدا كبيرا ووقتا طويلا في تعليمها وتعلمها ولا يصلون بعد هذا كله

إلى نتائج تتفق مع ما يصرف من زمن وجهد ». وكان أهم شيء اهتمت به اللجنة هو تقدير العامل الاجتماعي الذي يزيد من صعوبة تعلم العربية وأستعمالها على الوجه الذي رأته اللجنة أذ قالت في تقريرها (١) « . . . لأن الشباب لا يتعلمون هذه اللغة كما يتعلم الشباب في الأمم الأخرى لغتهم . . . هم لا يسمونها في البيت وهم لا يسمونها في البيئة التي تحيط بهم، ثم هم لا يسمونها في المدرسة إلا أثناء درس اللغة العربية » ثم قالت « . . . ويجب أن نلاحظ أن الشباب الانجليزي أو الفرنسي إنما يحسن لغته ويتقن النطق بها والتصرف فيها لأنها يسمعها صحيحة في البيت وخارج البيت ويسمعها صحيحة في المدرسة بنوع خاص . . . والشباب الفرنسي أو الانجليزي لا يسمع اللغة الصحيحة في درس اللغة الفرنسية أو الانجليزية فحسب، ولكنه يسمعها في درس التاريخ والجغرافيا وفي درس الطبيعة والكيمياء وفي درس الرياضة أيضاً . ثم لننظر بعد ذلك في اقتراحات اللجنة الخطيرة ونناقشها .

#### فقد رأت اللجنة ما يأتى : (٢)

- ١ ) وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديرى والاعراب المحنى .
  - ٢ ) عدم التمييز بين علامات اعراب اصلية وأخرى فرعية (أى أن الأسماء الخمسة مثلاً مرفوعة بضممة ممدودة، منصوبة بفتحة ممدودة، مجرورة بكسرة ممدودة) .
  - ٣ ) الغاء التفرقة بين علامات الاعراب وعلامات البناء .
  - ٤ ) ضبط الجملة بأصنافها تحت تقسيم واحد ينتظم الجملة الفعلية والأسمية والجملة الصغيرة والكبيرة معتمدة على المصطلحات المنطقية بدلاً من المصطلحات النحوية فوضعت الاصطلاح الآتى : المحدث عنه، الحديث ثم غيره باصطلاح منطقى هو: الموضوع والمحمول. أى يكون المبتدأ والفاعل أو نائه موضوعاً، والخبر أو الفعل محمولاً ». ولنببدأ في مناقشة هذه الآراء ونقدها لنرى مدى ماحققتها :
- أولاً : بالقاء نظرة كلية على الحلول التي وضعتها اللجنة نجد أنها :
- أ - تناولت حل المشكلة من الناحية الشكلية فقط فهي رأت حذف بعض شكليات النحو ظناً منها أن ذلك تيسير على الطالب كما أنها غيرت بعض المصطلحات النحوية واستبدلت مكانها مصطلحات منطقية . وهذا العمل وإن كان فيه شيء من التيسير فإنه لا يحل المشكلة من أساسها .

(١) أمين الخلوي - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - دار المعرفة ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥ .

ب - أن اللجنة بهذا العمل تناقضت مع آرائها السابقة التي تقول بقدир العامل الاجتماعي ، وقد وضع اغفالها لذلك التقدير حيث أنها فصلت فصلاً تاماً بين النحو وفروع اللغة الباقية من قراءة وتعبير ونصوص ، هذا الفصل هو سبب جوهري للمشكلة لأن اللغة وحدة عضوية واحدة .

ولتنتقل بعد ذلك إلى محاولة أخرى قامت بها لجنة أخرى عرفت باسم لجنة « تحرير النحو العربي » وأصدرت كتاباً وضعت له هذا العنوان « تحرير النحو العربي » قواعد النحو العربي مع التيسير الذي قرره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ألفه الأساتذة : « د. محمود رشدي خاطر، محمد محمود رضوان، إبراهيم مصطفى، محمد احمد برانق، محمد احمد المرشدى، يوسف خليفة نصر، د. عبد الفتاح شلبي، محمد شفيق عطا » وقد تحدث أعضاء اللجنة المؤلفون عن أعمال اللجنة السابقة ووصفوا هذا العمل بأن (١) اللجنة السابقة قد غيرت بعض الاصطلاحات النحوية ثم بينت اللجنة أسباب عدم تنفيذ مشروع اللجنة السابقة بأن (٢) تنفيذه كان يشير بعض التردد والخشية، فإن الرجوع عن المأثور أمر غير يسير شديد على من تلقنه ودرسه ثم لقنه .. « كيف توصلت اللجنة إلى تقديم مقترناتها؟ .

أولاً : أقيم مؤتمر بالقاهرة حضرة الأساتذة مفتشو اللغة العربية بالمرحلة الاعدادية واستمر من أول يونيو سنة ١٩٥٧ إلى الثاني عشر منه تناقش فيه السادة المفتشون ومن اختيار معهم من الأساتذة وتداروا درس هذه الاقتراحات وسبل تنفيذها واتخذ المؤتمرون في ذلك قراراً .

ثانياً : أقيم مؤتمر ثان جمع المدرسين الأوائل في هذه المدارس مثل الغاية التي عمل لها المؤتمر الأول وقرر ارتياحه للمنهج الجديد ورغبة في انجازه .

وقد قالت اللجنة في مقدمة بيانها : (٣)

« أفضل طريقة لتعلم اللغة وأيسرها وأقربها إلى مسايرة الطبيعة هي أن نستمع إليها فنفضل الاستماع ونحاول التحدث بها فنكثر المحاولة ونكل إلى موهبة المحاكاة أن تؤدي عملها في تطويق وتملكها وتيسير التصرف فيها ..

(١) محمود رشدي خاطر وآخرون : تحرير النحو العربي - دار المعارف ١٩٥٨ ص ٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦

(٣) نفس المرجع ص ٣ .

والآن لنرى ما اتخذته اللجنة من قرارات بشأن ما اسمته « تحرير النحو العربي » .

١ ) غيرت اصطلاح الركنين الأساسيين في الجملة الاسمية والجملة الفعلية فاستعملت اصطلاحاً بلاغياً قد يها هو « المسند والممسنده ». فأعتبرت المحدث عنه « المبتدأ في الجملة الاسمية والفاعل أو نائب في الجملة الفعلية » مسندًا إليه « واعتبرت الحديث « الخبر والفعل » « مسندًا » .

٢ ) اعتبرت مازاد على الركنين من المصوّبات وال مجرورات مكملاً . فسمّت : التكمّلة بالفعل ، التكمّلة بالإضافة ، التكمّلة بالحال الخ » هذا كلّ ما توصلت إليه لجنة تحرير النحو العربي ط المعارف سنة ١٩٥٨ ». والآن لنناقش مافعلته اللجنة :

١ ) أدركت لجنة تحرير النحو العربي كما أدركت سابقتها (لجنة تيسير النحو) تقدير العامل الاجتماعي وهو خلق المناخ اللغوي في الحياة العامة للطالب .

٢ ) أن اللجنة تناولت حل المشكلة من الناحية الشكلية فقط فهي قد غيرت بعض مصطلحات النحو واستبدلت بها مصطلحات بلاغية فقد فعلت تماماً مافعلته لجنة تيسير النحو التي وضع مصطلحات منطقية ظنتها وسيلة من وسائل التيسير .

٣ ) أن اللجنة فصلت فصلاً تاماً بين مادة النحو وسائر فروع اللغة فأغفلت جوانب اللغة الأخرى رغم أنها تعرضت لها نظرياً وبذلك لم تزد هذه اللجنة شيئاً على مافعلته . والآن لنرى أثر مقتراحات اللجنة في المجال التطبيقي :

ان طريقة المسند والممسنده التي طبقت دراستها فيها بين عامي ١٩٥٧ ، ١٩٦٠ قد كتب لها الفشل وعاد النحو إلى لقبه ومصطلحاته الأولى ومن ذلك نستفيد أن المشكلة ليست مشكلة مصطلحات وسميات وإنما هي مشكلة استعمال اللغة فالنحو وسيلة للتعبير السليم والفهم السليم وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بسائر الفروع الأخرى للغة ، ومن الغريب أن العلامة ابن خلدون قد قرر هذا المبدأ منذ ستة قرون مضت .

وفي سنة ١٩٦٦ أصدرت وزارة التربية والتعليم المصرية المناهج المعدلة في اللغة العربية . وقد حددت هذه المناهج الغرض من دروس القواعد بقولها : (١)

« ليست دراسة القواعد غاية مقصودة لذاتها ولكنها وسيلة تعين الدارس على تقويم لسانه وعصمه أسلوبه من اللحن والخطأ » .

---

(١) وزارة التربية والتعليم : المناهج المعدلة في المرحلة الاعدادية ١٩٦٦ ص ٥٨ .

وقد عرضت المناهج للأساليب التي يمكن عن طريقها تحقيق هذا الغرض.  
من أهم هذه الأساليب : (١)

- أن تدرس القواعد في ظل اللغة ، وذلك بأن تختار أمثلتها وقراراتها من النصوص الأدبية السهلة ، أو العبارات الجيدة التي تسمى بأساليب التلاميذ وتزيد من ثقافتهم وتوسيع دائرة معارفهم بالإضافة إلى ما توضحه من القواعد اللغوية .

وهورأى نجد صدأه لدى القدماء من أمثال الكامل في « المبرد » وابن خلدون في « المقدمة » وأن تربط المادة اللغوية التي تختار لشرح القواعد أو التطبيق عليها بميول التلاميذ ومصادر اهتمامهم ونواحي نشاطهم في هذه المرحلة .

- أن يقتصر في معالجة المسائل على تحقيق المدف المنشود من دراسة القواعد وهو عصمة اللسان والقلم من الخطأ ، فلا يسرف المدرس على نفسه وعلى تلاميذه بالتعرف على التفاصيل التي لا تتصل اتصالاً مباشرًا بهذه الغاية المرسومة .

- أن يقتصر في استخدام المصطلحات والاقتصار فيها على القدر الضروري .

- أن يكثر من التدريبات الشفوية المركزة على أساس منتظمة من المحاكاة والتكرار حتى تكون العادة اللغوية الصحيحة عند التلاميذ وتحل محل النطق المحرف ، وحتى تكون استقامة أسلوبهم وصحة أساليبهم استجابة سريعة طبيعية للقواعد التي يدرسونها دون جهد أو معاناة في استيعاب هذه القواعد واستحضارها في الذهن .

هذا ما ذكرته المناهج المعدلة . وهو كلام جليل يمثل اتجاهًا متطروراً مرغوباً في تدريس النحو . ولكن على الرغم من مرور سنوات طويلة في هذه المنهج المعدلة وعلى الرغم من أن هذه المنهج وضع حلولاً مناسبة لمشكلة تدريس النحو فان المشكلة ما زالت قائمة . ويرجع هذا بالطبع إلى أن مواضعه المنهج المعدلة من حلول ظل إلى حد بعيد في الإطار النظري ولم يأخذ طريقة إلى مجال التطبيق والممارسة . ونحن لا يمكن أن نتصور تغير طرق وأساليب تدريس النحو مجرد صدور مناهج معدلة أو جديدة أو مطورة وإنما ينبغي أن يتعدى ذلك إلى واقع العمل المدرسي نفسه بحيث يصبح أسلوباً وطريقة للمعلمين .

وهذا يتطلب تبيئة أذهان المعلمين للأساليب الجديدة وتدربيهم عليها . كما يتطلب أيضاً من واضعي كتب تدريس النحو والقواعد أن يسروا على نفس الاتجاه . وإذا نحن أردنا

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

أن تعالج المشكلة من أصولها فينبغي أن تتجه أيضاً إلى الكليات والمعاهد التي يتخرج منها معلمون باللغة العربية لكي تتطور هذه المعاهد من أساليب إعدادها لتعلم اللغة العربية بما يتمشى مع الاتجاهات الحديثة التي يتحقق معها مانع من التحسين والتطوير.

إن الطريقة التي يعالج بها تدريس النحو ما زالت تسير على النهج القديم الذي ينظر إلى تدريس القواعد على أنه غاية في ذاته وليس وسيلة لتقويم اللسان والدليل على ذلك أن بعض القواعد ما زالت تدرس على هذا المنوال. خذ مثلاً قاعدة الاسم بعد لاسماً يجوز فيه الرفع والنصب والجر وهذا يعني أنه لا مجال للخطأ طالما أن الحالات الثلاثة جائزة وصحيحة فإذا كان الأمر كذلك فلماذا تدرس القاعدة اذن؟ وخذ مثلاً آخر قاعدة المفعول معه . نجد أن الكتب في معالجتها لهذه القاعدة تورد أمثلة قليلة ومحدودة ومعروفة مثل سهرت والمصباح أو سرت وشاطئ النيل . ولا تورد أي أمثلة من القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف أو فصيح أقوال العرب . فإذا كان الأمر كذلك وإذا كانت الأمثلة مفتعلة إلى هذا الحد لا يثير ذلك تساؤلاً حول الغرض من تدريس مثل هذه القاعدة؟ وخذ غير ذلك أيضاً تدريس أساليب التعجب والتأويلاً والتخريجات التي تعرب بها صيغة « ما أفعل » والاسم « بعدها وغير ذلك كثير . وما أردته من ذكر هذه الأمثلة أن أبين مدى الحاجة القائمة إلى مراجعة تدريس النحو في مدارستنا لامن حيث الطريقة والأسلوب فحسب بل ومن حيث الموضوعات ومدى جدواها وفائدها في تقويم اللسان . إننا أيضاً نحتاج مرة أخرى إلى العودة إلى ماذكره النابهون من القدماء من أمثال المبرد وابن خلدون وغيرهما عن الموضوع وأعتقد أنه فيه زاداً لكل محاولة جادة ملخصة .

## مراجع الدراسة

- ١ - ابن خلدون : المقدمة
- ٢ - البرد : الكامل
- ٣ - ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون - الخانجي ١٩٦٠ .
- ٤ - حفني ناصف وأخرون : قواعد اللغة العربية لطلاب المدارس الثانوية - المطبعة الاميرية سنة ١٩٠٦ .
- ٥ - أمين الخلوي : مناهج تجديد في النحو والبلاغة - دار المعرفة .
- ٦ - محمود رشدي خاطر وأخرون : تحرير النحو العربي - دار المعارف سنه ١٩٥٨ .
- ٧ - محمد منير مرسي : التربية الاسلامية أصواتها وتطورها في البلاد العربية - عالم الكتب القاهرة سنه ١٩٨٢ .
- ٨ - المناهج المعدلة في المرحلة الاعدادية - وزارة التربية والتعليم سنه ١٩٦٦ .